Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

خيزران، وكأنه رمح رديني.. فقد قالوا: وكأنه المشتري، وكأن وجهه دينار هرقلي، وكأنه الشمس، وكأنها دارة قمر، وكأنها الزهرة، وكأنها درة... فقد تراهم وصفوا المستدير العريض بأكثر مما وصفوا به القصيف والطويل».

ثم يقول متهكماً كذلك: فأما سواد الناظر، وحسن المحاجر، وهدب الأشفار، ورقة حواشي الأجفان، فعلى أصل عنصرك، ومجاري أعراقك. وأما إدراكك الشخص البعيد، وقراءتك الكتاب الدقيق، ونقش الخاتم قبل الطبع، وفهم المشكل قبل التأمل، مع وهن الكبر وتقادم الميلاد ومع تخوّن، الأيام، وتنقص الأزمان، فمن توتيا الهند، ومن الحمية الشديدة. فأنت يا عم لكما قال الشاعر:

عجوز ترجّى أن تكون فتية ... وقد لحب الجنبان واحْدَوْدَبَ الظهر
تدسّ إلى العطار ميرةَ أهلها ... وهل يصلح العطار ما أفسد الدهر؟

بين الجاحظ والبشري

قد لا نعلم أحداً من كتاب الفصحى، في تاريخها الطويل، جارى الجاحظ في أسلوبه هذا سوى الشيخ عبد العزيز البشري، وكان ـ كما نعلم ـ خفيف الروح، بارع النكتة عذب الحديث، وهو في جده وهزله جاحظي العبارة، جاحظي التصوير، ألا تراه في «مرآته» يحطب في حبل أبي عثمان، ويرمي عن قوسه؟ بل ما نكاد ننظر في «المرآة» ونرى ما رسمه بقلمه البياني الساخر عن «زيور باشا» وكان سميناً بديناً حتى نتذكر الجاحظ وموقفه من أحمد بن عبد الوهاب.، وهاك طرفاً من قوله:

زيور باشا...؟

أما شكله الخارجي، وأوضاعه الهندسية، ورسم قطاعاته ومساقطه الأفقية، فذلك كله يحتاج ـ في وصفه وضبط مساحاته ـ إلى فن دقيق وهندسة بارعة[1].

والواقع أن زيور باشا رجل ـ إذا صح هذا التعبير ـ يمتاز عن سائر الناس

(١) المرآة ص ٨